طبقات الرواة

دراسة وتحليل

بقلم
الشيخ عادل هاشم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام

على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدّ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين، محمد (صلى الله عليه وآله)، وعلى آله الطيبين الطاهرين، أمّا بعد:

في البداية لابدّ من الاشارة الى أنَّ البحث في طبقات الرواة من الأبحاث المهمة في علم الرجال ويترتب على معرفتها فوائد كثيرة- سيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى- فإنها تساعد- بشكل أو بآخر- في إيضاح الصورة في جملة من الروايات التي تعاني من مشاكل سندية ورجالية، وبذلك تكون معرفة الطبقات آلية علمية فعّالة لحلّ الاشتباك في الأسانيد والرجال، خصوصاً في الرواة المشتركين وغير ذلك.

ومن هنا: كان لابدّ من النظر في هذا البحث وتحليل أركانه والوقوف على كلمات الاعلام فيه، والخروج بمختار منه بقدر الإمكان.

ونود الاشارة إلى أنّ كلامنا في المقام إنما يكون في خصوص طبقات الرواة دون الأعم منهم ومن الفقهاء أو الشعراء أو الأصوليين وما شابه ذلك؛ وذلك لأنَّ الرواة هم محل الكلام في علم الرجال، وأمّا الفقهاء والشعراء ونحو ذلك فإنهم وإنْ كانت لهم طبقاتهم الخاصة بهم ولكن لا يهّمنا الحديث عنهم في المقام من جهة خصوصية البحث في الرجال والرواة دون غيرهم.

الطبقة:

في البداية لابدّ من الحديث عن المعنى اللغوي للطبقة، وما هو معنى المراد منه في المقام.

ذكر أعلام اللغّة للطبقة معانٍ متعددة، منها:

المعنى الأول:

الموافقة والمساواة، قال إبن فارس: (الطاء والباء والقاف) أصل صحيح واحد، وهو يدلّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، من ذلك الطبق. تقول أطبقت الشيء على الشيء، فالأول طبق للثاني وقد تطابقا.[١]

وقال الجوهري: المطابقة الموافقة والتطابق الاتفاق، وطابقت بين الأثنيين إذا جعلتهما على حدّ واحد.[٢]

المعنى الثاني:

الحال، والطبق الحال يقال كان فلاناً على طبقات شتى من الدنيا، أي حالات[٣]

(١) انظر ابن فارس في معجم مقايس اللغة، الجزء الثالث، الصفحة ٤٩٣.

(٢) انظر الجوهري في الصحاح، الجزء الرابع، صفحة ١٥١٢.

(٣) أنظر الفراهيدي في كتاب العين، الجزء الخامس، الصفحة ١٠٨.

المعنى الثالث للطبقة:

المنزلة والرتبة، فقيل الطبق: جمع طبقة، وهي منزلة فوق منزلة.[١]

والمعنى الرابع للطبقة:

الجماعة من الناس، قال إبن الاعرابي: الطبق الأمة بعد الأمة، وقال الأصمعي: الطبق -بالكسر-، الجماعة من الناس.[٢]

وقال إبن سيده: الطبق الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم.[٣]

---

(١) أنظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، الجزء الأوّل، الصفحة ٢٣٥.

(٢) أُنظر لسان العرب، الجزء التاسع، الصفحة ٨٨.

(٣) أُنظر ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، الجزء السادس، الصفحة ٢٩٢.

المعنى الخامس للطبقة:

القرن من الزمان أو الزمان، بمراجعة كلمات أهل اللغة فقد يطلق الطبقة ويقصد منها إرادة اهل الزمان الواحد، فقيل: إذا مضى عالم بدأ طبق، ومعناه إذا مضى قرن جاء بعده قرن.(١)

ويقال: معنى طبق من النهار أي ساعة، ومثله مضت طائفة من الليل(٢)

وعلّل التسمية بالطبق من جهة أنهم يصبحون طبقة للأرض، ومن ثم ينقرضون ويأتي بعدهم طبقة أُخرى للأرض، وكذلك طبقات الناس كل طبقة طبقة زمانها.(٣)

---

(١) أُنظر: ابن الانباري، الزاهر، الجزء الأول، الصفحة ١٧٦.

(٢) أُنظر: الازهري، تهذيب اللغة، الجزء التاسع، الصفحة: ٢٩ .

(٣) أُنظر: لسان العرب، الجزء التاسع، الصفحة ٨٩ والفيروز آبادي، القاموس المحيط، الصفحة ٩٠٢.

وتجمع كلمة طبقة على طباق، وتجمع قياساً جمع مؤنث سالم فيقال: طبقات.[١]

والمتحصل مما تقدم:

أنَّ الطبقة لغة لها معانٍ متعددة، ولكن المعنى الأهم والمعروف هو الاشارة إلى القرن والزمان، وكون الجامع بين المراد الحديث عنهم هو اجتماعهم في زمان واحد.

وبناءً على ذلك فلا يراد منه غير علاقة الزمان من العلائق التي تربط الجماعة من الناس كالبلدان والجغرافية والتخصص والانساب والقبائل والمذاهب والعقيدة وغيرها من الجهات التي تربط المجاميع البشرية. ونتيجة لذلك:

إذا أردنا الحديث عن الرواة كطبقة لابدّ حينئذ من تقييد الطبقة بالرواة كما هو الحال حين إرادة الحديث عن طبقة الفقهاء أو

(١) أُنظر: طبقات الرواة الزهري الصفحة ٤٦.

الشعراء وغيرهم فلابدّ من تقييد الطبقة حينئذ بمثل هذه الجهات؛ حتى يحمل الكلام على المطلوب.

الطبقة اصطلاحاً:

لا تختلف الطبقة اصطلاحاً كثيراً عن المعنى اللغوي المختار، وبالتالي فيمكن تعريفها بأنها:

مصطلحاً يورده أهل الرجال للأشارة إلى مجموعة من الرواة تربطهم علاقة زمانية واحدة بلحاظ المقطع الزمان، وهذه العلاقة تنتج تقارباً في سنوات الولادة والوفاة، وكذلك تقارباً في المشايخ ومن يأخذون عنهم الرواية، وكذلك التلامذة ومن يأخذ عنهم الحديث، وبالتالي فلا يشترط في صدق اتحاد الطبقة –طبعاً بعد تعاصرهم زماناً – قربهم مكاناً وجغرافية، ولا اشتراكهم في جهة علمية أخرى غير رواية الحديث، فقد يقع اشتراك بينهم من جهات أخرى غير الرواية وقد لا يقع مثل هذا الاشتراك، والمهم في الطبقة اطلاقها وإرادة الاشتراك الزماني.

ثم أنه لا بدّ من الالتفات إلى عدم التداخل بين طبقات الرواة باللحاظ المتقدم وما يمكن أنْ يُفهم ويذكر في بعض الكتب الرجالية من التعبير بالطبقة ويراد منها مرتبة الراوي من ناحية الوثاقة والضعف، كأن يقال:

إنّ زرارة ومحمد بن مسلم أو إبن أبي عمير وأضرابهم من الطبقة الأولى من الرواة، فإنهم يريدون بذلك الاشارة إلى المرتبة.

والمائز الأساسي بين المرتبة والطبقة -بالمعنى المتقدم- هو أنَّ المقوم للطبقة الاشتراك الزماني، بينما المقوم للمرتبة هو منزلة الراوي العلمية، وبالتالي فكلّما كانت منزلته العلمية أعلى كلّما كان في مرتبة -أو قل طبقة في بعض الأحيان- أعلى كالأولى ونحو ذلك.

وعليه:

فالملحوظ في المرتبة جهات معينة في الراوي كمرتبة الوثاقة والضعف والدقة والضبط والجلالة والسعة في الرواية والتصنيف والتحقيق وقلّة السقط والنسيان والاشتباه ونحو ذلك من السمات المتعلقة بالعلم والحديث.

وبعبارة أُخرى:

إنَّ البحث في المرتبة بالمعنى المتقدم بحث في شخص الراوي من ناحية الوثاقة والضعف، والبحث في الطبقة بحث في الراوي ومروياته ومشايخه وتلامذته.

ثم أنّه لابدّ من الاشارة إلى أنَّ أعلام الرجال من أصحابنا كالشيخ الطوسي (قدس سره) وأضرابه ممن وصلتنا كتبهم الرجالية والفهارس كانوا يريدون بالطبقة الإشارة إلى المعاصرة الزمانية لا أكثر من ذلك، وأمّا مسألة إشتراك الطبقة الواحدة من الرواة بالمعاصرة المكانية والجغرافية أو النسبية أو المذهبية وغير ذلك فهو لا بشرط من ناحية المأخوذ في تعريف الطبقة.

والشاهد على إرادة هذا المعنى عند الاعلام من أصحابنا عدّهم جملة من الفساق وأهل الظلم والعدوان في عداد أصحاب (طبقة) جمعاً من الائمة (عليهم السلام) مع أنهم كانوا من اعدائهم ونقيضهم في كل شيء، وما ذلك –أي عدهم في طبقاتهم (عليهم السلام) – إلا لأنهم –

أي اعلام الرجال – لم يكونوا ينظروا في تحقق الاشتراك في الطبقة أكثر من المعاصرة الزمانية دون غيرها من الجهات الأخرى.

وكان الاعلام يأخذون الائمة (عليهم السلام) الأساس في الاشارة إلى الطبقة الزمانية، ومن ثم يدرجون الرواة بحسب تلك الطبقات، وكانوا يطلقون على الرواة المعاصرين لأحد الائمة (عليهم السلام) بالأصحاب، كأصحاب الامام جعفر الصادق (عليه السلام) وغيره من الائمة المعصومين (عليهم السلام)، وهذا الامر جعل بعض المصنفين والناظرين في علم الرجال يقعون في الخلط والاشتباه، ويتصورون أن هذا التعبير يمكن أن يُفهم منه إرادة الاشارة إلى كون هؤلاء الرواة يشتركون بالصحبة بالمعنى الاخص مع الامام المعصوم (عليه السلام) وبالتالي فمن ثم ترتب الإنتهاء إلى كون هذا التعبير –أي أصحاب الامام الصادق (عليه السلام) مثلاً– وغيره من التعبيرات والألفاظ المراد بها الاشارة إلى التوثيق، وهذا المعنى قد ظهر في كلمات ومصنفات غير واحد من أهل الرجال مع أنه في الحقيقة لا علاقة للتعبير بالصحبة –في أبواب كتب الرجال للأعلام كالشيخ

الطوسي (ﷺ) وغيره – بالوثاقة في الحديث؛ لأن غاية ما يمكن أن يقال في الإرادة من هذا التعبير هو الاشارة الى الاشتراك الزماني لا أكثر من ذلك، فلاحظ.

إطلالة على أهمية طبقات الرواة وتاريخه:

أما الأهمية:

فمن الواضح أنَّ لمعرفة طبقات الرواة أهمية كبيرة وعظيمة بعظم ما تترتب عليه من آثار وفوائد والتي يمكن عدّ منها:

أوّلاً:

التعرف على وقوع الإرسال في الروايات، خصوصاً ما يسمى بالإرسال الخفي -إن صحّ التعبير- والذي لا يعدو طبقة واحدة وراو واحد، ومثل هذا الإرسال يصعب الوقوف عليه وتمييزه والإلتفات إليه من دون أن يكون لدى المحقق معرفة بطبقات الرواة حتى يستشعر هذا النمط من المراسيل، خصوصاً في بعض الأسانيد الطويلة كالخمس أو الست أو السبع طبقات؛ فإنه عادة لايتيسر الإلتفات وإستشعار وجود إرسال إلا إذا كان الناظر ذو معرفة

ودراية بطبقات الرواة حتى يمكن أن يلتفت إلى أن فلان لا يروي عن فلان مباشرة لإختلاف الطبقة، فلابدّ أن يكون هناك نحو من أنحاء الإرسال.

ثانياً:

تمييز المشتركات في الرواة.

الناظر إلى الأسانيد في الروايات يعلم أنها لم ترد إلينا محملة بأسماء الرواة بصيغة واحدة، كالإسم الثلاثي مثلاً أو الرباعي للراوي ولقبه وكنيته ونحو ذلك، مضافاً إلى تعدد أسماء وألقاب وكنى جمع من الرواة، وعادة ما يرد إسم الراوي منفرداً أو مع أبيه أو في بعض الأحيان لقبه أو كنيته فقط، وهذا أحدث مشكلة الإشتراك، ومع تنوع أحوال الرواة من ناحية الوثاقة والضعف ظهرت مشكلة في تمييز الرواة المشتركين في الأسانيد وهذا عائق أساسي ومهم أمام الإنتهاء إلى بيان حال الراوي والوقوف على تشخيصه وبالتالي يمنع من الإنتهاء إلى إعتبار الرواية من عدمه. ومن أهم الآليات العلمية المطروحة لفض هذا الاشتراك هو معرفة

طبقات الرواة، فإنه بمعية معرفة الطبقات يسهل حلّ المشتركات في الرواة، وبالتالي فإذا ورد إسم مشترك بين إثنين أو أكثر من الرواة نظرنا إلى الراوي عنه ومن يروي هو عنه فيعلم أنَّ الرجل محل الكلام واقع في الطبقة الفلانية، وحيث أنه –على سبيل المثال– الرواة المشتركون واحد منهم يقع في الطبقة الخامسة والآخر في الطبقة السابعة –مثلاً – ومقتضى الراوي عنه والمروي عنه كونه من الطبقة السابعة فبالتالي يحمل الراوي المشترك على الراوي ذو الطبقة السابعة، وهكذا .

فعلى سبيل المثال:

ورد التعبير في بعض الأسانيد ب(إبن سنان) في غير مورد دون تقييده بمحمد أوعبد الله، ولكن أمكن فض الإشتباك والحمل على أحدهم المعين بمعية طبقات الرواة، كحمل (إبن سنان) الذي

يروي واقعاً بين (البرقي) و(أسماعيل بن جابر) على أنه (محمد بن سنان) لا (عبد الله بن سنان) لمناسبة الطبقة لذلك.[١].

ثالثاً:

الوقوف على التدليس في الأسانيد عند بعض الرواة:

وهذه ظاهرة موجودة عند البعض، وقد فهمَ منها البعض –مع التعمّد وسبق الإصرار والإلتفات إليها – دلالتها على ضعف للراوي في الحديث، وهنا بمعية معرفة الطبقات يمكن لنا تشخيص هذه الظاهرة. وعليه:

فإذا كان الراوي –مثلاً– من الطبقة السادسة ويروي عن الطبقة الثالثة أو الرابعة ويتكرر منه ذلك، ويذكر من يروي عنه بكنيته أو لقبه أو إسمه فقط دون إسم أبيه أو جده، فهذا يعطينا مؤشراً واضحاً على أن الرجل يريد التدليس في الأسانيد وإيقاعنا

---

(١) انظر الحاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه للبهائي الصفحة ٤٤، وكذلك الشيخ البهائي مشرق الشمسين وإكسير السعادتين الصفحة ٣٤٩ وغيرها.

في التوهم والإشتباه، ولعله يقوم بذلك لغايات في نفسه، وهذا يتضح من خلال معرفتنا بالطبقات كما هو واضح.

رابعاً:

المساعدة في معرفة ولادات ووفيات بعض الرواة :

فسيأتي الكلام عن أن تحديد الطبقة يستلزم تحديد مدى معين لولادة ووفيات رواة هذه الطبقة المعينة، وعليه :

فإذا إنتهينا إلى أنَّ الراوي الفلان من الطبقة السادسة –مثلاً– ولم تكن سنة وفاته أو ولادته متوفرة بأيدينا أمكننا الإستناد إلى المدى الذي تقع فيه سنوات ولادة رواة هذه الطبقة أو مدى السنوات لوفاتهم ليمكن لنا القول بأنه يحتمل أن ولادته أو وفاته في هذا المدى من السنوات– وسيأتي مزيد كلام من هذه الناحية–.

خامساً:

المساعدة في إمكانية رواية راوٍ عن راوٍ آخر، فإذا حدّدنا طبقة الراوي أمكن البحث حينئذ عن إمكانية روايته من فلان عن عدمها بحسب سماح الطبقة بذلك، وبالتالي فلو لم نقف على طبقة الراوي

لم يمكن لنا الحكم بإمكانية روايته عن الراوي الفلاني من عدمه.

سادساً: ينفع في تصحيح أخطاء وفيات الراوة.

سابعاً: ينفع في الحكم على سماع راوٍ من شيخ معين من عدمه بمعية توافق الطبقات أو لا.

ثامناً: ينفع في نسبة بعض الكتب إلى أصحابها، خصوصاً مع الإشتراك بين الأب وإبنه وحفيده وجده، فبالطبقة ومعرفتها يحُل الإشكال.

تاسعاً: تحديد منشأ (عنعنة الحديث) من سماع أو إجازة أو غيرها من أسباب وطرق تحمل الحديث، كما أشار إلى ذلك الشهيد الثاني (قدس سره) في الرعاية حيث قال:

والمهم في هذا الباب معرفة طبقات الرواة وفائدته الأمن من تداخل المشتبهين وإمكان الإطلاع على تبين التدليس والوقوف على حقيقة المراد من العنعنة.[1]

---

(١) انظر الشهيد الثاني الرعاية في علم الدراية صفحة ١٧٤.

عاشراً:

تكذيب أو تصديق جملة من دعاوى الرواة من أنه مثلاً لقي من روى عنه هذه الرواية أو الكتاب أو تلك، فبمعية طبقات الرواة ومعرفتها يمكن لنا تصديقه أو تكذيبه إذا كانت طبقته لا تسمح له برواية المباشرة عنه أو تصديقه إذا كانت طبقته لا تمنع عن الرواية المباشرة عنه.

الحادي عشر:

الكشف عن هوية الإمام المقصود في الرواية في حال الاشتراك بين أكثر من واحد منهم (عليهم السلام)، فعلى سبيل المثال أبي الحسن (عليه السلام) يطلق على أكثر من إمام، وكذلك أبي جعفر قد تطلق ويراد منها الإمام الباقر (عليه السلام)، وقد تطلق ويراد منها أبي جعفر الجواد (عليه السلام)، وقد يطلق مقيداً بالثاني وقد لا يقيد، وقد يحمل أبو جعفر(عليه السلام) من دون تقييد على إرادة الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام) مثال:

ما رواه محمد بن يعقوب عن علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد عن علي بن مهزيار رواه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قيل له :

إنَّ رجلاً تزوج بجارية صغيرة فأرضعتها إمرأته ثم أرضعتها أمرأة له أخرى، فقال إبن شبرمة: حرمت عليه الجاريه وأمرأتاه، فقال أبو جعفر (عليه السلام): أخطأ ابن شبرمة حرمت عليه الجارية وأمرأته التي أرضعتها أولاً، فأمّا الأخيرة فلا تحرم عليه كأنها أرضعت إبنتها.[١]

وفي التهذيب (لأنها بدل كأنها) [٢] وكذلك[٣]

فهنا يمكن بدواً حمل أبو جعفر على الأمام الباقر (عليه السلام) وعليه فيوجد- بقرينة الطبقة -إرسال؛ وذلك لعدم أدراك إبن مهزيار للإمام الباقر (عليه السلام)، وكذلك يمكن الحمل على الإمام الجواد (عليه السلام) أي أبي جعفر الثاني (عليه السلام) وهكذا.

وبذلك تتضح أهمية معرفة الفقيه الطبقات للرواة لأنَّ لها مدخلية واضحة في إتمام عملية الإستدلال على أتمّ وجه، وبذلك

(١) انظر الكافي الجزء الخامس الصفحة ٤٤٦.

(٢) انظر تهذيب الأحكام الجزء السابع الصفحة ٢٩٣ الحديث ١٢٣٢.

(٣) انظر وسائل الشيعة الجزء الرابع عشر الصفحة ٣٠٥.